

سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في فرنسا

سعيدون زروقي¹

ترتبط ظاهرة الهجرة الجزائرية في فرنسا بالسياق التاريخي والسوسيولوجي الذي تطورت ضمنهما، بحيث يتعذر الكلام عن هذه الظاهرة بدون الأخذ بعين الاعتبار لهذين البعدين، الأمر الذي يستدعي الرجوع إلى أصل نشأة هذه الظاهرة والعوامل التاريخية، الاقتصادية والسياسية التي أنتجت انطلاقا من البلد الأصلي لهؤلاء المهاجرين وصولا إلى البلد الذي احتضنها. إذن يتعلق الأمر بمسار طويل ومعقد فبينما كان يغلب على الهجرة في بادئ الأمر طابع الشغل أي هجرة مؤقتة قد تنتهي بمجرد انتهاء الشغل، أخذت فيما بعد طابعا آخر وهو الاستقرار الدائم بعد أن إلتحق أفراد عائلات هؤلاء المهاجرين بذويهم في فرنسا في إطار سياسة جمع شمل العائلة (*le regroupement familial*) وما نتج عنه من ظهور لأجيال جديدة في هذا البلد استفاد أغلب أفرادها من الحصول على الجنسية الفرنسية سواء عن طريق حق الأرض (*le droit du sol*) أو عن طريق الإقتناء (*l'acquisition*). الشيء الذي غير ملامح وخصوصية مجتمع المهاجرين في هذا البلد. على صعيد آخر وعلى المستوى السوسيو-مهني تميز المهاجرون الأوائل بضعف الكفاءة المهنية، لذلك اتسمت معيشتهم بالهشاشة وعدم الإستقرار الشيء الذي أثر سلبا على أبنائهم فيما بعد. من ناحية أخرى ونظرا لعوامل التهميش والإقصاء وتواجدهم في محيط المجتمع لجأ أبناء المهاجرين إلى محاولة بناء هويتهم انطلاقا من موروث آبائهم الثقافي والديني من خلال الوسط العائلي على غرار اللغة العربية والدين الإسلامي.

عرفت الهجرة الجزائرية في فرنسا منذ بدايتها إلى الآن عدة تقلبات، على العموم منذ تاريخ استقلال الجزائر في 1962 لم تشهد تراجعا في عدد الوافدين إلى فرنسا حيث ازداد عددهم نظرا للوضع السياسي والأمني المتدهور الذي ميز سنوات التسعينيات في الجزائر.

على صعيد آخر وبينما كانت الهجرة الجزائرية تتسم بالطابع الريفي توسعت فيما بعد لتشمل المناطق الحضرية حيث انتهجت السلطات الفرنسية سياسات توافق المتطلبات الأساسية من اليد العاملة حيث أصبحت تميل لجلب يد عاملة ذات كفاءة علمية ومهنية عكس ما كانت عليه في السابق.

تمركز المهاجرون الجزائريون منذ البداية في أحياء فقيرة محاذية للمناطق الصناعية في المدن الكبرى. داخل هذا المجال الجغرافي وغيره من الأماكن الغير لائقة من مراكز الإيواء وغيرها نشأت أجيال المهاجرين الجزائريين وأفرزت واقعا آخر في المجتمع الفرنسي أنتج ما يسمى بفشل الاندماج ضمن المجتمع وبذلك فشل السياسة الفرنسية في التعامل مع المهاجر منذ البداية.

¹باحث جامعة أحمد بن بلة 2 وهران.

تتطوي المقاربة السوسيولوجية على مجموعة من الاعتبارات بغية الأخذ في آن واحد بطرفي السلسلة الخاصة بالهجرة. يتعلق الأمر في البداية بالرجوع إلى البعد التاريخي لهذه الظاهرة في البلدان التي عرفت. إن إعادة تشكيل التاريخ الاجتماعي الذي نمت فيه هذه الظاهرة في البلدان الأصلية التي أفرزت أفواجا من المهاجرين تسمح بتهيئة الشروط ونشأة هذه الهجرات بمجرد تحديد مختلف العوامل السوسيولوجية، التاريخية، الإقتصادية والسياسية التي تسمح بفهم المنطق الجوهري المرتبط بكل ظاهرة هجرة. بالإضافة إلى ذلك، ومن أجل فهم واقع الهجرة الجزائرية في فرنسا، يدعو عبد المالك صياد إلى "تهج إستيمولوجي ينطلق من تسلسل زمني من خلال الجمع بين البعد التاريخي والبعد المتزامن لتجنب تفكيك فعل الهجرة (*le fait migratoire*) بوصفه فعلا إجتماعيا شاملا ¹ (*un fait social total*)"، إن الكلام عن الهجرة، يعني الكلام عن المجتمع بأكمله، كلام عن بعده التاريخي، بمعنى في إطار منظور تاريخي (تاريخ ديموغرافي وسياسي لتركيبية السكان الفرنسيين)، وكذلك في امتداده المتزامن، أي من وجهة نظر البنيات الموجودة للمجتمع وعملها، ولكن بشرط عدم الأخذ عمدا الجزء المبتور لهذا الموضوع من جزء ينتمي إليه، وهو الجزء الخاص بالهجرة². من ناحية أخرى، يشير عبد المالك صياد إلى أن الجزائريين في فرنسا قبل أن يكونوا مغتربين، كانوا في الأصل مهاجرين. قبل الغربة كانت الهجرة³، حيث أنهما وجهان لظاهرة واحدة. إن شرح وضعية المهاجرين في فرنسا يمر بإعادة تكوين مختلف مسارات المهاجرين التي سوف تمتد من البلد الأصل حتى البلد المستقبل. إن تطور واقع الهجرة يرتبط كذلك بمختلف التغيرات التي تحدث هنا وهناك من خلال كلا المجتمعين.

وبالأخذ بعين الاعتبار مختلف هذه المتطلبات السوسيولوجية والابستمولوجية، بنى عبد المالك صياد مخططا من ثلاث أعمار من أجل تفسير الديناميكية التي تميز هذا المسار الذي قاد أجيال المهاجرين لتجاوز العمر الأول من الهجرة إلى مرحلته الأخيرة، العمر الثالث من هجرة مراقبة وخاضعة إلى النظام القروي لضمان بقائها ومن تم تحررها من مراقبة المجتمع لتصبح عاملا مشتركا ل جماهير أكثر فأكثر عمالية. إن تعميم الهجرة بين مختلف المجموعات الاجتماعية ومن خلال كل المناطق الجغرافية في الجزائر وكذا شبه الإحترافية لحال المهاجر في فرنسا ثبت نهائيا الهجرة الجزائرية من هجرة العمل وهجرة الرجل لوحده. أسفر هذا المسار عن هجرة إسكان مع مجيء العائلات التي غيرت البناء المورفولوجي لهذا المجتمع الخاص بالمهاجرين في فرنسا.

¹ طالع مفهوم الفعل الاجتماعي الشامل *le fait social total* من خلال أعمال Marcel Mauss

² A. Sayad, *L'immigration et les paradoxes de l'altérité*. Paris. Liber/ Raison D'agir 2006.

p 15

³ مصطلح الغربة يقابله بالفرنسية *Immigration* ومصطلح الهجرة يقابله بالفرنسية *Emigration*، نقول على سبيل المثال: هذا الرجل مهاجر من الجزائر، مغترب في فرنسا. بالفرنسية: *Cet homme est immigré d'Algérie*, *émigré en france*، لمزيد من التوضيح طالع مؤلفات عبد المالك صياد .

إن الهجرة الجزائرية في فرنسا مثالية بالنسبة للبعض¹ ونموذجية بالنسبة للبعض الآخر² تثبت حولها الجماعات الأخرى القادمة من بلدان المغرب العربي حيث تقدم مواصفات خاصة تميزها في نفس الوقت عن باقي الهجرات الأوروبية وتبنيها كبنية مجتمع أصلي. نضجها المبكر نسبيا بالنسبة لهجرات بلدان العالم الثالث الأخرى، العوامل التاريخية التي نشأت فيها، والخيالات التي ميزتها طوال فترة تكونها لتسمح لها بالحفاظ والديمومة، أعطت حسب عبد المالك صياد شكلا جديدا لهذه الهجرة. إنها هجرة شغل التي جمعت رجالا لوحدهم قدمو للعمل لفترة مؤقتة محتفظين بعلاقتهم بالبلد الأصلي أين تعيش عائلاتهم. في الواقع، هذا هو ثمن مجموع خيالات وأوهام التي سمحت باستمرار الهجرة في فرنسا. كان من المفترض أن تكون هجرة مؤقتة من أجل الشغل، إلا أنها امتدت إلى هجرة دائمة من السكان. "الهجرة الجزائرية، ولكي تبقى على حالها، مضطرة للحفاظ على نفسها وبالتالي، الكشف عن سلسلة من الحيل والمحاكاة والتستر التي تعد أصل ظهور واستمرار ظاهرة الهجرة"³. لفترة طويلة خضع المهاجر إلى تناقض كبير، هذا الأخير بقي محصورا ضمن وهم المؤقت حيث برّر وجوده في فرنسا بالعمل فقط إلى حد إخفاء وهم الحياد السياسي للمهاجر لصالح وظيفته الاقتصادية. "لا ندرى ما إذا تعلق الأمر بحالة مؤقتة ولكن يودون التمديد لأجل غير مسمى، أو بالعكس، ما إذا تعلق الأمر بحالة أكثر ديمومة ولكن يودون العيش بشعور شديد بالمؤقت"⁴. يستخلص عبد المالك صياد أن الفصل في هذه المعضلة وصل إلى حد نبذ الغربة. ولهذا لا يستطيع المهاجر إلا إخفاء وضعيته الخاصة. هذه الحالة التي ليست مؤقتة ولا دائمة التي حدثت للمهاجر هي في الواقع عمل مشترك لثلاثة أجزاء تحكم ظاهرة الهجرة- الغربة التي تحافظ على نوع من التواطؤ المقصود. هناك أولاً المهاجرين أنفسهم الذين لهم كل المصلحة في إعتبار أن وضعيتهم مؤقتة. ثم المجتمعات الأصلية التي تستمر في الإعتقاد بأن مهاجريها ليسوا إلا غائبين وسوف يعودون، وأخيرا، مجتمع الهجرة الذي له كذلك كل المصلحة في الإحتفاظ بالمهاجر ضمن المؤقت بغية إستغلاله وحرمانه من أي حق في الحضور الدائم. من الآن فصاعدا تتضح الهجرة أكثر في المجتمع المستقبلي لأنها بصدد تحقيق تحولها النهائي محاولة كسر أطر الأوهام التي كانت منغلقة ضمنها.

لقد عرفت الهجرة المغاربية في فرنسا الكثير من التحولات منذ نشأتها ابتداء من السنوات الأولى للقرن التاسع عشر تحت وطأة العديد من العوامل التي أثرت على مستقبلها. من هجرة متفرقة ذات هيمنة

¹ Des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré. A. Sayad, *La double absence*. p 58.. Paris. Seuil, 1999

² Voir, J. Simon, *L'immigration algérienne en France. Des origines à l'indépendance*. Paris- méditerranée, 2000.

³ A. Sayad, *La double absence*. Op, cit. p 114.

⁴ A. Sayad, *L'immigration ou les paradoxes de l'altérité*. Op. cit. p 51.

ريفية وقروية، أصبحت عامة لتشمل بعد ذلك كل الطبقات الاجتماعية ومناطق جغرافية أخرى. من هجرة يسيطر عليها لفترة طويلة الجزائريون بالنظر إلى الظروف الاجتماعية، السياسية والإقتصادية نتيجة للإستعمار الذي خضعوا له، توسعت لتشمل دول المغرب العربي الأخرى من أجل كسر الإحتكار الذي يشكله العنصر الجزائري في هذا البلد. وأخيرا وكما يلاحظ صياد أنها هجرة ولدت ونمت تحت تأثير العمل، لتتطور بسرعة إلى هجرة إعمار "مؤكدة كذلك القاعدة الشبه عامة لكل حركات الهجرة: كل هجرة عمل تحتوي على بذور هجرة الإعمار التي توسع نطاقه"¹.

من جهة أخرى، فإن استقرار الهجرة المغاربية في فرنسا يتحدد إلى حد كبير بهذا المسار التاريخي، الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي الذي وزيادة على ذلك مازال يشكل الفضاء للأجيال الناتجة عن لم الشمل العائلي. إن التمرکز القوي للعائلات المغاربية داخل المناطق السكنية المهمشة بسبب المستوى الاقتصادي للآباء الذين يتميزون بضعف الكفاءة المهنية شجع على إعادة تشكيل جماعات داخل الضواحي. داخل هذه الجماعات من المهاجرين يمثل الجزائريون الأغلبية مقارنة بالآخرين. في هذا الصدد يلاحظ B. Stora بأن "الشبكات الجماعية الجزائرية تعرض كأماكن لجوء بالنسبة للمغربيين والتونسيين. بالإضافة إلى ذلك، تمثل اللغة العربية جسرا للتواصل بين الجاليات المغاربية، حيث أن المغربيين والتونسيين يتبنون كثيرا في البداية اللهجة الجزائرية على حساب لهجاتهم. إن التواصل واقع إنه يتحسن بسرعة"².

من ناحية أخرى، بالإضافة إلى اللغة العربية التي تسهل الموانسة داخل هذه المجموعة المغاربية، يشكل الدين كذلك عاملا آخر قادرا على توحيد الإنتماء الجماعي. ذلك ما يجعل الأحياء ذات التواجد القوي للمهاجرين تتميز بممارسة دينية مهمة أكثر من الأحياء الأخرى. يعني هذا أن الأجيال الجديدة الناتجة عن الهجرة المغاربية مازالت تنتج وتعيد إنتاج بعض الخصائص التي تنتمي إلى وسطهم الأصلي تحت تأثير الوسط العائلي والمحيط الاجتماعي الذي تشكله الأحياء. علاوة على ذلك، تدعوا هذه الأجيال إلى عيش هذه الأحداث الثقافية والاجتماعية في إطار الجمهورية عكس آرائهم الأكثر سريّة ربما بسبب وضعهم الهشّ في الواقع وتجاه القانون. إن الهجرة المغاربية في فرنسا أدت إلى إحداث نوع من الوعي في أوساط المواطنين الفرنسيين فيما يخص وضعية الهجرة عموما التي أصبحت موضوعا تتغذى منه مختلف الحقول السياسية، الإعلامية والعلمية التي طالما اعتبرت المهاجر كقوة عمل مؤقتة عابرة.

على العموم، بعيدا عن تشكيل قطيعة مع الفترة السابقة، تمثل فترة ما بين الحربين لحظة تعزيز لحركة الهجرة التي أصبحت منذ ذلك الحين حقيقة لا مفر منها بالنسبة لجماهير العمال المستعدين لبيع

¹ Ibid. p 73.

² B. Stora, *Ils venaient d'Algérie. L'immigration algérienne en France 1912-1992*. Paris 1992 Fayard, p 416-417.

قوة عملهم في فرنسا. إن حركة الذهاب والإياب المستمرة بين الضفتين التي دشنتها الموجات الأولى من المهاجرين قد أثرت على باقي المناطق في أوساط الطبقات الاجتماعية نظرا لأهمية الأجور مقارنة بغيرها الممنوحة من طرف أرباب العمل في المستعمرة. ولهذا السبب فإن واحدة من الخصوصيات الكبرى لهذه الفئة من السكان المغاربة في فرنسا هو معدل النشاط المرتفع استثنائيا الذي بلغ في مرحلة ما بين الحربين سقف 95% متجاوزا إلى حد كبير معدل النشاط لدى الجنسيات الأخرى¹ قبل أن ينزل مع اندلاع الحرب العالمية الثانية والتغيرات الهيكلية التي عرفت الهجرة المغربية منذ نهاية الحرب.

أعادت الحرب العالمية الثانية صياغة تجربة الحرب العالمية الأولى مع دفعاتها من العمال والجنود المعبئين بسرعة لهذه الظروف، واضعة حدا لنظام الهجرة الحرة. تم توجيه العمال الجزائريين في شكل كتائب مكونة من فرق من 500 رجل تحت رقابة عسكرية في قوارب بدائية الصنع. ولكن، بعد الحرب عرفت الهجرة المغربية عموما والجزائرية خصوصا نحو فرنسا فترة هدوء طبعاء، بدون شك بسبب الصدمات التي عاشها المهاجرون طيلة فترة الحرب لتنتقل بعد ذلك مع التوسع الاقتصادي الذي ميز مرحلة إعادة البناء. حدثت هذه الهجرة في أغلب الأحيان من طرف الجزائريين الذين لم يتوقفوا عن إثراء تجربة في الهجرة مقارنة مع بلدان الشمال الإفريقي الأخرى حيث ستكون الآثار جد واضحة على التركيبة السوسولوجية للأجيال اللاحقة.

إبتداء من 1962، على الرغم من العودة الناتجة عن الرفاه الذي تلى إستقلال الجزائر، سرعان ما شهدت هذه الحركة خيبة أمل لما وجدته من واقع صعب. عرفت الهجرة الجزائرية دفعة جديدة التي من الآن وصاعدا تستجيب إلى اتفاقيات تفاوض بين دولتين معنيتين بهذه الظاهرة.

هذا الزخم في حركة الهجرة عرف تحولا في المسار في ظل تعليق الهجرة من طرف الحكومة الفرنسية في جويلية 1974 وذلك بتوقيف كل أشكال الهجرة بما فيها الهجرة العائلية لتتخلى عن ذلك فيما بعد.

وضعت السياسة الجديدة حدا للهجرة الشرعية للشغل لفسح المجال إلى جمع الشمل العائلي الذي ثبت نهائيا الهجرة في فرنسا. وعليه فإن هذه العائلات الجديدة في فرنسا استمرت في التكاثر والنمو وذلك بإنتاج أجيال جديدة منقسمة ما بين محيط عائلي غالبا ما يتميز بالثقافة الأصلية المكتسبة من الأبوين ومحيط خارجي الذي يستجيب إلى نماذج ثقافية أخرى غالبا ما تتنافى مع ثقافة الأبوين. اليوم، هذه الأجيال تحاول أحيانا الانتظام من خلال المشاركة في المؤسسات الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية للبلد المضيف وأحيانا بإنشاء شبكات جماعية خاصة بالفئة الأصلية.

¹ J. Singer-Kéler, « Les actifs Maghrébins dans les recensements français ». in L. Talha,

S. Andezian, P. R. Baduel, Maghrébins en France. Emigrés ou immigrés?, Op cit p 86

كانت الهجرة الجزائرية في فرنسا، هجرة شغل، وكان مصدرها غالبا ريفيا، نظرا لما عاناه هؤلاء السكان من حالات الفقر وغيرها، لقد قدمت جغرافية الهجرة في بدايتها تمركزا قويا للمهاجرين ذوي الأصول الريفية متكونين في غالب الأحيان من شباب البدو أميون وبدون تأهيل. إلى ذلك الحين كانت المناطق الريفية تضمن إستدامة توازن غير مستقر إلا أنها سرعان ما ضعفت أمام الكثير من الآثار التي نتجت عقب نشأة الإستعمار والثورات المتتالية التي عقت ذلك. إضافة إلى ذلك، فإن الطبيعة الإجتماعية لهذه المناطق قد سمحت بدون شك بالتكفل بالآثار المترتبة عن الهجرة حيث كان الهدف في أول الأمر وقبل كل شيء هو استمرار النظام البدوي¹.

كانت منطقة القبائل السبابة في تزويد فرنسا بالعمال منذ السنوات الأولى من القرن العشرين. على صعيد آخر، قدمت الحرب العالمية الأولى فرصة هامة لجلب عمال جدد من المستعمرات الفرنسية وكذا حشد أفواجا من الجنود الذين سوف يوسعون الرقعة الجغرافية التقليدية لتوظيف اليد العاملة. هذه التجربة سمحت بتجديد الوحدات الأولى من المهاجرين وبظهور مناطق جديدة للهجرة أثناء فترة ما بين الحربين. وعليه، أصبحت الهجرة ظاهرة عامة بعدما كانت عبارة عن فعل هامشي يقتصر على منطقة واحدة. بالنسبة للجزائر، وبالرغم من الأهمية التي تشكلها منطقة القبائل وتلمسان، فإن السهول العليا من منطقة قسنطينة، العاصمة، وهران، الهضاب العليا وكذا الجنوب قدمت بدورها الكثير من المهاجرين².

بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية التي شهدت تعبئة عشرات الآلاف من الجنود وعمال مستعمرات الشمال الإفريقي، أصبحت الهجرة ظاهرة تمتد لتشمل عائلات جديدة لاسيما من المناطق الحضرية. إن الطلب الكبير على اليد العاملة التي اقتضتها فترة إعادة البناء، إرادة السلطات الفرنسية في تنويع مصادر التوظيف، حرب الجزائر، الإتصال المطول للسكان المستعمرين بالمستعمر خصوصا عن طريق التمدرس والخدمة العسكرية إضافة إلى إستقلال المغرب وتونس، كلها أسباب تبرر ظهور مرشحين جدد للهجرة. إن تراجع عدد المهاجرين من أصول ريفية لصالح الحضر في فرنسا منذ سنوات 1970 يفسر بالسياسة الجديدة للهجرة التي انتهجتها السلطات العمومية التي أصبحت تتطلب الكفاءة المهنية أكثر وذلك بإقصاء الريفيين نهائيا الذين يتميزون بنقص الكفاءة مقارنة بالقادمين من المدن. حيث أن هؤلاء أغلبهم متعلمين وحاملين شهادات وعليه فهم أكثر كفاءة من غيرهم الذين لم تتح لهم الفرص في غالب الأحيان للوصول إلى أشكال التكوين المتواجدة في المدن. تشير *M. Tribalat* إلى أن "التدفقات من الجزائر والمغرب سوف تتشكل من الحضر، خصوصا مع سنوات الثمانينيات، حيث سيمثلون حوالي ثلثي الوافدين.

¹ 4.1A. Sayad, *La double absence*, Op cit. p 1

² J. Simon, Op cit, p 63.

إن التيارات الجديدة التي تطورت في سنوات السبعينيات قد تأثرت كثيرا بهذه الظاهرة الخاصة بالإنقضاء وكذا بالمهاجرين ذوي الأصول الحضرية السائدة"¹.

هذا المسار الخاص بالتجدر في فرنسا يمر من المهاجر القروي الغير مؤهل إلى مهاجر من أصول حضرية أكثر تأهيلا. وفي الأخير من مهاجر يعيش وحده إلى مهاجر يعيش مع عائلته، إلا أن تعليق هجرة العمل أدى بالبعض في الأخير لتقبل الغير قابل للتعويض وذلك بجلب عائلاتهم إلى فرنسا والبعض الآخر لبناء حياته أو إعادة بنائها في هذا البلد.

منذ بداية الهجرة، دفع البحث عن الشغل المهاجرين الأوائل لاكتشاف مناطق أخرى في فرنسا قادرة على توفير إمكانات التشغيل لهذه اليد العاملة الجزائرية. إن البعد الجماعي الذي يميز هذه الهجرة والطلب المتزايد للعاملين من أجل معالجة العجز المتكرر في اليد العاملة قد سهل تدفق هؤلاء المهاجرين من الشباب. على المدى الطويل، هذا الإتجاه للمهاجرين نحو المناطق الصناعية قد حدد تركزهم الجغرافي في فرنسا. لقد تركزت الموجات الأولى من المهاجرين الجزائريين خاصة في مرسيليا، ليون والعاصمة باريس، مشكلة أحياء من جيتهوات (أحياء فقيرة مكتظة بالسكان) بسبب التدفق السريع والعدد المعتبر من العاملين وبالخصوص الجزائريين².

هذا التركز الأول للمهاجرين في فرنسا سوف يرسم ملامح المجال الجغرافي للمهاجرين ويعطي جانبا من الطبيعة غير المستقرة للمساكن المخصصة للمهاجرين الشيء الذي يعكس مدى تمثل المجتمع المضيف نحوهم³. "مسكن المهاجر لا يكون إلا للمهاجر: إنه مسكن إضطراري لوضعية إضطرارية: مسكن مؤقت، مؤقت على نحو مضاعف، لأن ساكنيه سوف يقطنونه مؤقتا، ولأنه في حد ذاته عبارة عن إستجابة لوضعية ذات صفة مؤقتة لمقيم مؤقت، لأنه بهذه الطريقة يتصور المهاجر دائما: مسكنا إقتصاديا، متواضعا (إن لم نقل ناقصا) لساكن لا يملك دخلا كبيرا والذي، أكثر من ذلك فرض عليه، حتى إقتصاديا: مسكن متواضع لساكن فقير⁴....".

إنها شروط الإقامة والحياة التي ستتقاسمها فيما بعد الأجيال اللاحقة من المهاجرين على نطاق واسع من خلال الأحياء الفقيرة، الفنادق المتواضعة ومراكز الإيواء وغيرها. على هذه الطريقة إستقرت الهجرة المغاربية في فرنسا. وبالنتيجة يشير كمال بوقسة فيما يخص الجزائريين أن: "الحياة الاجتماعية لهذه الدفقات الأولى تسمح لهم إذن بإفراز أنماط تنظيم أصلية وأسلوب حياة مغاير داخل الأماكن

¹ Tribalat, *Faire France, une enquête sue les immigrés et leurs enfants*. Paris. La .M 1
Découverte/Essais 1995. p 22-23.

² G. Meynier, *L'Algérie révélée : la guerre de 1914-1918 et le premier quart du XIXe siècle*. Genève, Droz, 1981, p 474.

³ A. Sayad, *L'immigration ou les paradoxes de l'altérité*. Op cit.

⁴ Ibid, p 82.

وفضاءات خارج العمل ومع كل المجتمع المحيط. إنتاج وإعادة إنتاج لبعض الملامح، عزلة، إنغلاق، تهميش، كل هذا سوف يكون كذلك في مركز تشكيل عزلات حقيقية حتى داخل الحي¹. الشيء الذي أثر سلبيا على اندماج هؤلاء المهاجرين في الفضاء الاجتماعي الفرنسي خصوصا الأجيال الأولى التي غالبا ما تتميز بالأمية والانفصال عن السكان الفرنسيين باللغة، بالعمل وبالسكن.

مع ذلك، سجلت الهجرة الجزائرية في فرنسا تطورا نوعيا وكيفيا من خلال التجربة المتراكمة من جيل لآخر، وصول العائلات الأولى للمهاجرين، التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية الجديدة الناتجة عن الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى مهاجرين شباب مثقفون أكثر بعد 1945 بدأوا في الإنتشار في جميع أنحاء فرنسا. كما أنه من بين هؤلاء المهاجرين، البعض حقق نقلة اجتماعية ترجمت بنقطة جغرافية أدت بهم إلى تغيير الحي المكتنص بالمهاجرين، ولكن كونها منذ البداية هجرة شغل، بقي إستقرار الجزائريين في فرنسا دائما وعلى نطاق واسع متمركزا حول المناطق الجغرافية التي توفر وتخلق فرص عمل في الزراعة وفي القطاعات التي لا تتطلب مهارات مهنية.

ومختصر القول أن هذا المسار للهجرة الجزائرية في فرنسا ينبىء إلى حد ما بمسار الأجيال اللاحقة التي ستكون نتاج جمع الشمل العائلي. من بين الاستمراريات التي تحملها الوضعية الجديدة هي تمركز الأجيال الجديدة المنحدرة من الهجرة في نفس المناطق الجغرافية التي تظهر بشكل متزايد كمناطق إقصاء بسبب حرمان الفئات الاجتماعية في أوساط المهاجرين الذين يقطنونها. إن الفشل المدرسي الذي يميز أجزاء واسعة من أبناء المهاجرين لم يسمح بانجاز ترقية اجتماعية التي تمر عبر المدرسة. إن غياب التعبئة الاجتماعية التي تثبت هؤلاء الأبناء ضمن حرف يدوية غير مؤهلة، محتقرة ومشكلة في غالب الأحيان إعادة إنتاج لما ميز آبائهم من قبل، شكل ذلك عائقا حقيقيا أمام تغيير جغرافي ممكن. هذه العوامل وغيرها أنتجت إلى حد كبير نوعا من الفشل في تحقيق إندماج في المجتمع الفرنسي لهذه الأجيال من أبناء المهاجرين وبالخصوص الجزائريين، الشيء الذي دفعهم للبحث عن بديل آخر قد يضمن لهم نوعا من الوجود ومن تحقيق للهوية. ذلك ما دفع بالأجيال الشابة لتبني الدين الإسلامي كنظام حياة أو كنموذج حياة مواجهين بذلك نموذج الحياة السائد الذي تحكمه قيم ومبادئ العلمانية في فرنسا.

قائمة المراجع:

Meynier. G, *L'Algérie révélée : la guerre de 1914-1918 et le premier quart du XIXe siècle*. Genève, Droz, 1981.

Sayad. A, *L'immigration et les paradoxes de l'altérité*. Paris. Liber/ Raison D'agir 2006.

Sayad A, *La double absence. Des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré*. Paris. Seuil, 1999.

K. Bouguessa, « Mode de vie et représentation : La communauté algérienne en France ¹ pendant la colonisation ». in L. Talha, S. Andezian. P. R. Baduel,...Op cit, p 52.

- Simon. J, *L'immigration algérienne en France. Des origines à l'indépendance*. Paris-méditerranée, 2000.
- Stora.B, *Ils venaient d'Algérie. L'immigration algérienne en France 1912-1992*. Paris. Fayard, 1992.
- Talha. L, Andezian. S, Baduel. P. R, *Maghrébins en France. Emigrés ou immigrés ?* Paris, CNRS, 1983.
- Tribalat. M, *Faire France, une enquête sue les immigrés et leurs enfants*. Paris. La Découverte/Essais 1995.